القصة الأغرب فيما يتعلق بحزب الله

تعلمنا حكايا الشعوب وتاريخها أن القادة والفرسان الذين يدافعون عن قومهم، ويمتشقون السلاح متخلين عن الراحة والرفاه، مخاطرين بحياتهم ومضحين بها، يصبحون المثل الأعلى والرمز الذي لا يجوز المس به. فإذا استشهدوا تقام لهم النصب التذكارية وتأسس الأعياد الوطنية السنوية لذكراهم. هذا ما حصل في كل البلدان التي شهدت حروب تحرير، بما فيها أميركا، فرنسا أو لبنان... هذا ما يحصل في حال استشهادهم. أما في حال انتصارهم وبقائهم على قيد الحياة فيستلمون إدارة البلاد إن لم يكن مباشرة فبصورة غير مباشرة، أي هم من يختارون الحكام. باختصار يستلمون السلطة في البلاد.

ما حصل مع حزب الله في لبنان لا يتشابه مع كل ما سبق. حزب الله تأسس عام ١٩٨٢ أي على أثر الإحتلال الثاني شبه التام للبنان، حيث دخلت القوات الإسرائيلية العاصمة اللبنانية، وتم لها إخراج المقاتلين الفلسطينين على ظهر البواخر حيث شتتوا في دول مختلفة. قبل ذلك التاريخ كانت إسرائيل ومنذ أوائل السبعينات تفعل ما تشاء في جنوب لبنان، إلى أن أحتلته حتى نهر الأولي أي على مشارف صيدا عاصمة الجنوب. لم تخرج إسرائيل من لبنان رغم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٥ عام ١٩٧٨، الذي يطلب منها "الخروج فورا". السبب أنها لم تدخل كي تخرج، فمصادر المياه خلف حدودها الشمالية، "الحيوية" بالنسبة لها، والتي طالبت فيها المؤسسة الصهيونية العالمية منذ ما قبل قيام إسرائيل، كانت الهدف الأساسي من وراء اجتياحها للجنوب، وعدم سماحها بدخول أي قوة عسكرية أيا كانت طبيعتها حتى القوات الدولية.

دون أن يكون ما نورده هنا من شأنه أن يقلل من تضحيات المقاومين اللبنانيين المواكبين لتلك الحقبة، فالوجدان يملي علينا الإقرار بأن من أخرج إسرائيل من لبنان بعد إثنين وعشرين عاما من احتلاله هم مقاتلوا حزب الله ومن ورائهم الجيش اللبناني وقادته الشجعان، وسوريا التي احتضنتهم، وإيران التي مدتهم بالعتاد والسلاح والمال.

بعد التحرير عام ٢٠٠٠، بدأ التشكيك بإنجاز رجال المقاومة، فالبعض اعتبر أن إسرائيل قد انسحبت من تلقاء ذاتها، والبعض الآخر أقر بانتصار حزب الله ولكن كان الأمر بالنسبة له نهاية مرحلة وبدء مرحلة جديدة في التعامل مع ذلك الحزب. لقد أنجزت المهمة، "يسلموا دياتكم يا شباب، اعتونا عرض اكتافكم". طبعا ذلك لم يكن طبيعيا ولم يكن ممكنا. صحيح أن حزب الله قد آثر أن يحتفظ بمهمة الدفاع عن الوطن دون أن يفكر بمكاسب على صعيد السلطة في لبنان، غير أن ذلك لا يعني أنه سيقبل أن يعامل معاملة المرتزقة أو المأجورين. لقد أصبح الحزب ومن هم في السلطة في وضع متأزم، السبب هو عدم الإعتراف بفضل المقاومة الإسلامية التي حررت الأرض، وعدم معاملتها على هذا الأساس. لقد تم تكريس يوم ٢٥ أيار كعيد للمقاومة والتحرير على حياء من قبل الحكومة. كما لم يتم التفكير بإقامة نصب تذكاري لشهداء المقاومة سواء الوطنية بمختلف فصائلها

أو الإسلامية اللبنانية. أما جرحى المقاومة وأسراها فقد تم التعامل معهم بسطحية وتمنن. وبدأ الحزب يشعر وكأنه عالة على الدولة-السلطة، فإذا صرح قادته باكتفائهم بالإحتفاظ بسلاحهم وبمهمة المقاومة، قامت القيامة، وعلت الأصوات لتجريد الحزب من سلاحه ووضعه في تصرف الدولة، وإذا عبر قادته عن هموم الناس بالنسبة للشؤون الداخلية، سواء ما يتعلق منها بالأحوال المعيشية أو الإصلاح، علت الأصوات قائلة أن حزب الله قد تخلى عن مهمة المقاومة وحول اهتمامه نحو السلطة ونحو الداخل. ليس هذا فحسب، بل لقد بدأ التآمر عليه مع الخارج، خاصة مع فرنسا وأميركا التي صنفته كميليشيا إرهابية، وكان القرار ١٩٥٩ بداية القحط. طبعا ما تبع ذلك أصبح معروفا بدأ من اغتيال لرئيس الوزراء السابق الحريري، إلى مسلسل الإغتيالات اللاحق، وصولا إلى حرب العام ٢٠٠٦، الذي كان من أهم نتائجه الإيجابية بالنسبة لحزب الله، هو تأكيد انتصاره في العام ٢٠٠٠، وأن إسرائيل قد انسحبت بفعل المقاومة وليس بفعل إرادي. ايضا ما أعقب انتصار عام ٢٠٠٦ من تآمر على المقاومة من خلال محاولة كشف شبكة اتصالاتها لم يعد خافيا على أحد. أما في أيامنا الراهنة فنعيش مرحلة المراهنة على حكم قضائي من قبل محكمة دولية خاصة، تتهم عناصر من حزب الله بارتكاب الإغتيالات في لبنان. يعتقد البعض في الداخل أن الحزب سيقع في الفخ وسيجبر، نتيجة لذلك، على اختيار السبيل الأسلم وهو التخلي عن السلاح مقابل إسقاط التهمة عنه.

بانتظار الأيام القادمة وما ستنجلي عنه، لا يسعنا إلا أن نذكر من يريد أن يتجاهل الحقيقة، أن المنتصرين دائما هم قادة البلاد وهم من يقررون فيما يتعلق بالنظام الذي سيحكم البلاد والعباد. إنه لمن دواعي الأسف أن يتم الإحتفال بعيد الإستقلال في لبنان دون أن تتم الإشارة إلى إنجازات المقاومة، أو دون أن يتم إشراك فرقة من المقاومين في الإستعراض العسكري. ومن دواعي الإستغراب أيضا أن يتم الإحتفال بعيد الشهداء دون أن يكون قد أقيم نصب تذكاري لشهداء المقاومة الذين أعادوا نصف لبنان إلى حضن الوطن.